

دور منظومة القيم الإسلامية في إرساء قواعد المشترك الإنساني

The Role of the Islamic Value System in Establishing the Foundations of Human Commonality

تاريخ النشر: 2025/10/28

تاريخ القبول: 2025/07/21

تاريخ الإرسال: 2024/12/29

ايت علجت خديجة¹، تومي جميلة²¹المدرسة الوطنية العليا للمناجمت، الجزائر،EMAIL: k.aitaldjet@ensmanagement.edu.dz²المدرسة الوطنية العليا للمناجمت، الجزائر،EMAIL: toumi.djamila.ensm@gmail.com

المخلص

في ظل ما يعيشه العالم من صراعات ونزاعات دموية، وتحريض متزايد على الكراهية والعنف، أصبح البحث عن سبل للتعايش أمرا حتميا، ومن هذا المنطلق جاء المشترك الإنساني كوسيلة تفتح أفقا للتواصل، التعارف والتعاون بين شعوب الأرض مهما اختلفت أجناسهم، عقائدهم، وأعرافهم، و عليه سنقوم من خلال هذه الدراسة بتسليط الضوء على منظومة القيم الإسلامية، ومعرفة مدى أهميتها في إرساء قواعد المشترك الإنساني، حيث سنحاول بناء قاعدة نظرية مستمدة من الأبحاث والدراسات السابقة في هذا المجال، والتي ستساعدنا في معرفة دور منظومة القيم الإسلامية في إرساء قواعد المشترك الإنساني

الكلمات المفتاحية: القيم الإسلامية، المشترك الإنساني، التعارف

المؤلف المرسل: ايت علجت خديجة، الإيميل: k.aitaldjet@ensmanagement.edu.dz

Abstract:

In light of the bloody conflicts and struggles that the world is experiencing, and an increasing incitement to hatred and violence, the search for ways to coexistence has become imperative, and from this standpoint, human commonality came as a means that opens up horizons for communication, acquaintance and cooperation among the peoples of the world, regardless of their different races, beliefs, and customs, and Therefore, through this study, we will shed light on the system of Islamic values, and find out how important it is in establishing the rules for the common human, as we will try to build a theoretical base drawn from previous research and studies in this field, which will help us to figure out the role of the Islamic values system In laying down the rules for the common humanity.

Key words: Islamic values, human commonality, acquaintance

1. مقدمة:

في ظل ما يعيشه العالم من صراعات و صدامات ونزاعات دموية، وتحريض متزايد على الكراهية و العنف، أصبح البحث عن سبل للتعايش أمرا حتميا، ومن هذا المنطلق جاء المشترك الإنساني كوسيلة تفتح أفقا للتواصل و التعارف والتعاون بين شعوب الأرض مهما اختلفت أجناسهم، عقائدهم، وأعرافهم.

و لعل المطلع على الآية الكريمة من سورة الحجرات "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" [سورة الحجرات: آية 13]، يفهم دعوة القرآن الكريم للتعارف في إشارة إلى التنوع الإنساني الموجود في الكون.



إن البحث في مفهوم المشترك الإنساني يتجاوز منطق الخصومة والصدام، و يؤدي بنا إلى البحث في المبادئ و القيم الخلقية المشتركة بين الناس، و التي منشؤها هو الفطرة الإنسانية و مستندها هو الشرائع السماوية، و تمثل قاعدة في بناء جسور التواصل الإنساني الحقيقي والتعاون المثمر والمحبة والاحترام المتبادل و التي من شأنها إزالة فتيل التوتر و النزاعات و الحروب بين الدول.

تعد القيم من الموضوعات الهامة و الحساسة كونها أهم مقومات المجتمع التي تحكم توجهاته، و سلوكيات أفرادها، فهي أصل أي شيء، فإذا فسدت إنهار الإنسان ، و قد جاء الإسلام بمنظومة قيم متينة و متكاملة ، تمثل محرك أفعال و مواقف المسلمين و هي بوصلة سفينة حياة المسلم توجهها و تحكم طريقة تفكيره ونظرته للأمور (فتحي سليمان، 2012) و عليه فإن مشكلة الدراسة تتجلى في الإجابة على التساؤل الرئيسي التالي : ما هو دور منظومة القيم الإسلامية في إرساء قواعد المشترك الإنساني؟ تهدف هذه الدراسة إلى توسيع قاعدة المعرفة العلمية فيما يخص علاقة القيم الإسلامية بالمشارك الإنساني، وذلك من خلال:

- 1- تحديد مواصفات منظومة القيم الإسلامية والإلمام بجوانبها.
- 2- تقديم إسهام لفهم علمي للمشارك الإنساني.
- 3- التعرف على الدور الذي تلعبه منظومة القيم الإسلامية في إرساء قواعد المشارك الإنساني.

حيث سنقوم في هذا البحث بإتباع المنهج الوصفي التحليلي، المبني على وصف نظري لمنظومة القيم الإسلامية و مفهوم المشارك الإنساني، آخذين بعين الإعتبار وجهة نظر علماء الدين الإسلامي و رواد هذا المفهوم.

2. القيم الإسلامية:

يعد الإسلام منبع القيم الفضلى والأخلاق الرفيعة، فقد جاء بمنظومة متكاملة من المبادئ و القيم، تشكّل في مجموعها، منهج حياة ملائما لطبيعة الإنسان، و منسجما مع فطرته السوية، و مغذيا لروحه، و ملبيا لمتطلبات الحياة الإنسانية الكريمة. (الكتاني محمد، 2011)

إن البحث في موضوع القيم الإسلامية يعد أمراً صعباً، و ذلك لإتساعه و تشعبه وترامي أطرافه (جابر قميحة، 1987)، فالإسلام دين القيم الإنسانية العليا، الأخلاق النبيلة، والمثل السامية، التي تعد من أعظم مقاصد بعثة النبي الكريم وأهداف رسالته، حيث أكد رسولنا عليه الصلاة والسلام على هذا بقوله "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق."

و قد أولى الإسلام اهتماماً كبيراً ببناء الفرد و غرس الفضائل في نفسه و تركيبها ، حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق" ويقول صلى الله عليه وسلم " إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ مَا يَأْتِيكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنَّ مِنْ أْبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدِكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ التَّرْتَارُونَ وَالتَّمْتَقِمُونَ وَالتَّمْتَقِمُونَ، قالوا : يا رسولَ اللَّهِ، قد عَلِمْنَا التَّرْتَارِينَ وَالتَّمْتَقِمِينَ فَمَا التَّمْتَقِمُونَ ؟ قَالَ : التَّمْتَكِّبُونَ "[صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: 2018

1.2 معنى القيم لغة واصطلاحاً:

لغة: جاء في اللسان: و القيمة: ثمن الشيء بالتقويم، تقول: تقاوموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته، فقد استقام لوجه (ابن منظور).

و ذكر الفيروز آبادي أن "القيمة بالكسر واحدة القيم، و ماله قيمة إذا لم يدم على شيء و قومت السلعة ، و استقمته ثمنه، و استقام و اعتدل، و قومه عدلته . (الفيروزي آبادي، 1978)

و في تعريف آخر للقيومي: القيم جمع قيمة و هي الثمن الذي يقاوم به المتاع، أي يقوم مقامه و قومت المتاع و جعلت له قيمة معلومة. (القيومي، 2010)

اصطلاحاً: هي مجموعة المبادئ و القواعد و المثل العليا التي يؤمن بها الناس و يتفقون عليها فيما بينهم، و يتخذون منها ميزاناً يزنون به أعمالهم، و يحكمون بها على تصرفاتهم المادية و المعنوية، و القيمة الأخلاقية تفرض معناها كضرورة أو كمعطى وجداني قبلي لا يحتاج إلى برهان أو جهد عقلي.

أما الدكتور علي خليل مصطفى فقد عرف القيم على أنها مجموعة المعايير و الأحكام، تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف و الخبرات الفردية و الاجتماعية، بحيث تمكنه من اختيار أهداف و توجهات لحياته، يراها جديرة بتوظيف إمكانياته، و

تتجسد خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العملي أو اللفظي بطريقة مباشرة و غير مباشرة. (علي خليل، 1988)

أما فيما يخص القيم الإسلامية فقد عرفها الدكتور جابر حميقة في كتابه "مدخل في القيم الإسلامية" على أنها مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية، و تجعلها كاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، و على التوافق مع أعضائه وعلى العمل من أجل النفس، الأسرة و العقيدة. (جابر قميحة، 1987)

و قد قسمها إلى مجموعتين:

• القيم الإسلامية الايجابية: و هي القيم الواجب التحلي بها كالأمانة، الصدق، الرحمة، صلة الرحم، الكرم و حسن الجوار.....إلخ

• القيم الإسلامية السلبية: و هي القيم الواجب التخلي عنها كشرب الخمر، الزنا، السرقة، الكذب.....إلخ

و في تعريف آخر، القيم الإسلامية هي مجموعة الأحكام العقلية الوجدانية التي يرشد إليها الدين الإسلامي، و تشير إلى ما يؤمن به مجموعة من الناس، و يتفقون على أهميتها، و يعتبرونها ضوابط لأفعالهم، و يتخذون منها معيارا يرجعون إليها في الحكم على سلوكياتهم و سلوكيات الآخرين. " (قاسم محمد خزعلي، 2011)

كما عرفها الدكتور ماجد زكي الجلال على أنها" نظام يقوم على مجموعة من المعتقدات الربانية يؤمن بها الفرد و يتمثلها المجتمع، و ينبثق عنها سلوك محكوم بمجموعة من الأحكام المستوحات من الشريعة الإسلامية، يتمثلها الأفراد المختارين بغية الرقي في حياتهم المادية و الروحية، و يتحدد من خلالها مجموعة معايير للحكم على الأشياء، و الأشخاص، و الأفكار على أنماط السلوك، من حيث كون مرغوب فيها أو مرغوب عنها" (ماجد زكي الجلال، 2013)

من خلال ما سبق يمكن القول أن القيم في الثقافة الإسلامية هي مجموعة أسس و معايير مستوحاة من الشريعة الإسلامية، راسخة لدى الفرد، تحكم سلوكاته و سلوكات المجتمع. و القصد من إعتبار هذه القيم منظومةً هو بيان العلاقة العضوية بينها كلها، إذ لا تتحقق الغاية منها إلا بتفاعلها المحكم فيما بينها، بوصفها آليات يحرك كل منها الآخر،

فإذا تعطلت إحدهما أدت إلى تعطيل الأخرى أو إلى الإخلال بها، أو تخلف نتائجها .
(الكتاني محمد، 2011)

2.2 خصائص منظومة القيم الإسلامية:

ربانية المصدر: تصدر من مصادر الإسلام ذاته، أي أنها تستمد من القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، و يعتبران الأساسين اللازمين للحديث و البحث عن القيم الإسلامية (صالح بن عبد الله و آخرون، 1998). و كونها ربانية لا ينفي دور العقل في الاجتهاد ضمن حدود شرع الله، و بحيث يكون عمل الفكر البشري أساس التلقي و الإدراك و التكيف و التطبيق في واقع الحياة. (قطب سيد، 1978)

الشمولية: القيم الإسلامية شاملة، تراعي عالم الإنسان وما فيه ، و المجتمع الذي يعيش فيه، جامعة لكافة مناشط الإنسان و توجهاته و الشمول لا يعني إمتداده إلى جميع الأفراد فحسب، و لكن يستتبع كذلك تطبيقه على مختلف الظروف التي يمكن أن يتواجد فيها الفرد.

الثبات و المرونة: إن القيم الإسلامية ثابتة و لكنها غير جامدة، مرنة و لكنها لا تقبل التميع (جابر قميحة، 1987) ، فهناك قيم عليا ثابتة ، لا تخضع لا للأزمان و لا للبيئات، لا تقبل الإجهاد أو التغيير كالقيم العقيدية، و أخرى ترتبط بعادات الناس و تقاليدهم و تختلف من مكان لآخر بشرط عدم الخروج على القيم التي شرعها الله (الأشقر عمر سليمان، 1982)، و هي مرنة مرونة كافية لمواجهة ما يتولد في حياة الناس من مواقف و حوادث، و ما تصير إليه الأمور في المجتمعات، و هي مما تحتاج إلى نظر و تأمل و إستنباط. (رجاء بنت سيد علي، 2018)

الاستمرارية: فالقيم الإسلامية قابلة للتطبيق في كل زمان و مكان، لأنها مستمدة من شريعة الله الصالحة لكل زمان و مكان، كما أنها جاءت منسجمة مع الفطرة الإنسانية السليمة التي لا تتبدل بتبدل الأحوال و الظروف، و يبين ذلك القرآن الكريم في قوله سبحانه و تعالى " تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا" [سورة الفرقان: الآية 1].

الوسطية: تتميز القيم الإسلامية بالوسطية، لا إفراط فيها ولا تفريط، قال رسول الله-صلى الله عليه و سلم-"خير الأعمال أوسطها"، من منطلق هذه الوسطية يلزم الإنسان بالقيم المحققة لإنسانيته، و التي لا تغلو من طرف و تهمل طرفا آخر، فالإنسان مطالب بالتوسط في الإنفاق، و العاطفة، و الاعتقاد، و توفية مطالب الروح و الجسد (صالح بن عبد الله و آخرون، 1998)، لقوله تعالى " وَأَبْنَعُ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ " [سورة القصص : الآية 77].

الواقعية: حيث تراعي القيم الإسلامية الطاقة المحدودة التي جبل عليها الإنسان فاعترفت بالضعف البشري و بحاجاته المادية و النفسية (سيد احمد طهطاوي ، 1996)

3.2 مصادر منظومة القيم الإسلامية: تنبع القيم الإسلامية من أربع مصادر تتمثل في:

القرآن الكريم: المصدر الأول والمنبع الأصيل لمنظومة القيم الإسلامية، كتاب الله تعالى المنزل على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، و الذي يعد دستورا للناس، يدعوهم و يوجههم إلى مكارم الأخلاق، يحث على الفضيلة و الخير وينهى عن الشر، قال تعالى " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " [سورة النحل - الآية 90]

السنة النبوية: تعد السنة النبوية المطهرة المصدر الثاني من مصادر القيم في الإسلام، و هي ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، و القرآن نفسه قد طلب إلى المؤمنين أن ينقادوا ، دون حرج، لجميع أوامر النبي صلى الله عليه وسلم، متى أخذوا أنفسهم بالإيمان به ، و من ذلك قوله تعالى " وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " [سورة الحشر: الآية 7] و قوله تعالى " مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ " [سورة النساء: الآية 80]

الإجماع: هو اتفاق جميع المجتهدين المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على حكم شرعي في واقعة ، و يعتبر هو الآخر مصدر من مصادر القيم الإسلامية و يمكن الإستدلال بذلك عن طريق النصوص القرآنية مثل قوله تعالى " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ " [سورة آل عمران: الآية 110] و قوله تعالى " و

كذلك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ" [سورة البقرة: الآية 143]، و قال الرسول صلى الله عليه وسلم : "سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ فَأَعْطَانِيهَا "

القياس: يعرف بأنه " إثبات حكم معلوم في معلوم آخر لإشتراكهما علة الحكم عند المثبت" (نادية محمد شريف العمري، 1987) فالقياس يفترض وجود حالة نقيس عليها، تمثل بها الحالة الجديدة، و على ذلك فالحالة الأصلية ينبغي أن يكون قد سبق لها ذكر في القرآن و السنة.

4.2 وظيفة منظومة القيم الإسلامية:

ذكر الدكتور مسعود عبد المجيد في كتابه القيم الإسلامية التربوية و المجتمع أن للقيم مجموعة من الوظائف أهمها:

- العمل على إيجاد التوافق النفسي و الإجتماعي للأفراد و تعديل سلوكهم.
- العمل على إيجاد التوازن و الثبات للحياة الإجتماعية من خلال توجيه السلوك نحو تحقيق الهدف.

- العمل على دفع الأفراد للعمل و توجيه نشاطهم.
- تعتبر القيم معايير و موازين يقاس بها العمل و تساهم في التنبؤ بسلوك الفرد.
- تساعد القيم على ربط أجزاء الثقافة بعضها ببعض.
- تزود القيم أفراد المجتمع بمعنى الحياة و الهدف الذي يجمعهم من أجل البقاء.

5.2 تصنيف القيم الإسلامية :

جاء في كتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، تصنيف القيم الإسلامية على النحو التالي (صالح بن عبد الله و آخرون، 1998):

- 1- من حيث الإطلاق و النسبية: و يوجد مستويان:

- القيم المطلقة: و هي القيم الثابتة، المطلقة و المستمرة لا تتغير بتغير الزمان و الأحوال.

- القيم النسبية: المتغيرة بتغير المواقف عبر الزمان و المكان، و تحتاج إلى إجتهد جمعي لإقرارها لا يتعارض مع نص صريح.

2- من حيث تحقيق المصلحة: وهي تتعلق بحفظ الكليات الخمس و هي:

- الدين: و موضوع القيم هنا صلة الإنسان بربه.
- النفس: و موضوع القيم هنا صلة الإنسان بنفسه و حياة الإنسان.
- العقل: و موضوع القيم الجوانب الفكرية و العقلية في حياة الإنسان.
- النسل: و موضوع القيم صلة الإنسان بغيره على وجه العموم.
- المال: و موضوع القيم صلة الإنسان بالأشياء و المكاسب.
- و تأتي القيم هنا مترتبة ترتيبا هرميا طبقا لمحورين أساسين:
- درجة النفع: و هنا ثلاث درجات، الضروريات، الحاجيات، و التحسينات
- درجة الحكم: من حيث الحلال و الحرام و المباح و المكروه و المندوب.

3- من حيث تعلقها بأبعاد شخصية الإنسان و جوانبها: و التي تربي على القيم و تحتضنها:

- البعد الروحي: و تعبر عنه القيم التي تنظم علاقة الإنسان بربه، و تحدد صلته به.
- البعد الخلقي: و تعبر عنه القيم المتعلقة بالأخلاق و التي تتصل بالشعور و المسؤولية.

• البعد العقلي: و تعبر عنه القيم المتعلقة بالعقل و المعرفة، و إدراك الحق، ووظيفة المعرفة.

• البعد الجمالي: و تعبر عنه القيم المتعلقة بالتذوق الجمالي، و التعبير عنه، و إدراك الإتساق في الحياة.

• البعد الوجداني: و تعبر عنه القيم الوجدانية الإنفعالية، و هي تلك التي الجوانب الإنفعالية للإنسان و تضبطها، من غضب و رضا أو حب و كره، و غير ذلك.

• البعد المادي: و تعبر عنه القيم المتعلقة بالوجود المادي للإنسان.

• البعد الاجتماعي: و تعبر عنه القيم التي تتصل بالوجود الاجتماعي للإنسان من خلال مجتمعه، و المجتمع العالمي.

و عليه، فان صيغة التكامل بين هذه الأبعاد هي الأساس في تناول هذه القيم، فكل بعد متكامل مع الآخر، و تتكامل أبعاد التصنيف الثالث بعضها مع بعض مكونة النسق القيمي الإسلامي الصحيح.

3. مفاهيم عامة عن المشترك الإنساني

لم يخلق الإنسان ليعيش وحيدا على وجه الأرض، إنما يشارك غيره من البشر المتواجدين في معظم اليابسة، و كونه لم يخلق كاملا فانه كان لزاما عليه أن يتعامل مع غيره من البشر، الذين يكملون له نقصه و نقص بيئته (راغب السرجاني، 2011)، فهناك خصوصيات لكل شعب أو لكل تجمع إنساني، كما أن هناك مشترك بين الشعوب، هذا المشترك الإنساني قد يظهر نتيجة تشابه الظروف التي تعيشها الفئات الإجتماعية، كما قد يظهر الثقافات و التواصل و الإحتكاك (حسن إبراهيم احمد ، 2004)، فمن الملاحظ أن غالبية الحضارات العالمية ما هي إلا خليط من أجناس و عرقيات مختلفة، تعايشت و تعارفت و تكيفت مع بعضها لتكون دولة أو حضارة.

يوجد منهجان أصيلان يحكمان العلاقة بين الشعوب، أولهما منهج التعارف لتحقيق المصلحة المشتركة، وهذا منهج الأسوياء، الذي دعا إليه الفيلسوف الفرنسي المسلم روجيه كارودي في أطروحته «حوار الحضارات»، و هذا يحقق منافع لا يمكن حصرها، و الثاني منهج التصادم لتحقيق مصلحة ذاتية نفعية دون اعتبار لمصالح الآخرين، وهذا يعبر عن منهج الأشقياء،، مثله صامويل فيليبس هنتنغتون الذي نادى بالصدام الحضاري من خلال كتابه The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order، أين يدعو إلى النزعة المركزية المفرطة، التي تريد أن تصب الإنسانية في قالب واحد، منكرة بذلك حق الآخرين في التمايز والاختلاف.

ومن هذا المنطلق انبثقت فلسفة المشترك الإنساني لإجهاض هذا الصدام الحضاري، الذي أغرق العالم في صراعات ونزاعات دموية، وتحريض متزايد على الكراهية والعنف، حيث أصبح البحث عن سبل للتعارف و التعايش و التواصل بين الشعوب أمرا حتميا، وهذا مهما اختلفت أجناسهم، عقائدهم، وأعرافهم، و المقصود بلفظ التعايش هنا، الجمع بين اجتماعية الإنسان و حكمته، و بين نشوة اللقاء و الاختلاف الثري، و بين الصداقة و الحنان، و أخيرا بين الضيافة و الإنفتاح على الآخر. (فتحي التريكي و اخرون، 2012)

في حين أن مفهوم التعارف ذو سعة، يمكن أن يشمل كل المعاني التي تدل على التعاون والتساكن والتعايش، ويمكن أن يستوعب التعارف قيم الحوار والجدل والتي هي أحسن والاحترام المتبادل، ويقول الدكتور راغب السرجاني في هذا السياق أن الإنسان عدو ما يجهل، يعني انه كلما قل التعارف بين الشعوب زادت وتيرة الحرب و حدتها، و على العكس فانه إذا زاد التعارف بين شعبين فإن هذه المعرفة ستحوّله من مجهول إلى معروف ما يؤدي إلى تقليل الحروب و أزماتها .

إن مفهوم المشترك الإنساني قد تداوله عدد من الباحثين والمثقفين في أنساق مختلفة وبمصطلحات متعددة لكن بمعان متقاربة في المضمون. ومن تلك المصطلحات والمفاهيم نجد: القيم المشتركة، أو المشترك الحضاري البشري، أو الإنسانية المشتركة، أو الأخلاق العالمية أو المشترك الأخلاقي .

فقد دعا هانس كونغ إلى ضرورة الإتفاق إلى ما سماه الأخلاق العالمية ethic global و هي مجموعة المبادئ الأخلاقية العامة يتشارك فيها المتدينين و غير المتدينين، و التي من خلالها يستطيع الناس و الأمم العيش معا و العمل من أجل إحلال السلام و العدالة، والأمان.

حيث تم من خلال مؤتمر شيكاغو 1993، صياغة المعالم العامة للأخلاق و الأديان، في مبدأين إثنين:

- 1- مبدأ الإنسانية: فكل كائن بشري يجب أن يعامل بإنسانية
- 2- و في التطبيق: في كل دين و ثقافة مبدأ آخر أو قاعدة أخرى هي القاعدة الذهبية للتعايش بين الناس، و هي تقوم على التكافؤ أو التبادل .

و من جهته ، فقد عرف الدكتور عبد الله بوصوف المشترك الإنساني على أنه تلك القيم الإنسانية التي تشكل القاسم المشترك بين مختلف الأديان والحضارات، والتي هي نابعة من حاجة الإنسان الفطرية، بصرف النظر عن إنتماءاته، وبغض النظر عن اللون والعرق والجنس والمعتقد. (عبد الله بوصوف، 2017)

1.3 تصنيف المشترك الإنساني:

قسم الدكتور راغب السرجاني المشتراك الإنسانية إلى أربع مجموعات كبرى، لكل مجموعة سمات خاصة، و لها رابط واحد يجمعها، هذه المجموعات الأربع هي:



1- المشترك الأسمى: تضم هذه المجموعة مشتركا واحدا و هو العقيدة، و هو تصور عن الإله ، الراسخ و الذي ليس من السهل التنازل عنه، تمثل أهم ما يميز الإنسان، و اعلی ما يمتلك، و هي أقوى رباط بين الشعوب، حيث يمكن أن تجمع تحتها عشرات العرقيات و الأجناس و الألوان، و لكنها في نفس الوقت يمكن أن تكون سببا في صدام مروع، لذلك لا يجب المساس بتاتا بعقائد الآخرين.

2- المشتركات الإنسانية العامة: و هي الأمور التي يشترك في أصولها و فروعها جميع البشر، ثابتة و ضرورية تماما للحياة، تمثل ميدان فسيح للتعارف و التواصل بين الشعوب لأنها تربط بحبل "الفطرة"، و التعرض لها يؤدي إلى الحرب و الصدام. تشمل هذه المشتركات: الاحتياجات الأساسية (الطعام و الشراب، الملابس، الأسرة، الأمن، المسكن)، العقل، الأخلاق الأساسية (الصدق، الأمانة، العدل)، التملك، الكرامة، الحرية، العلم، العمل.

3- المشتركات الإنسانية الخاصة: و هي الأمور التي يشترك في أصولها جميع البشر، و لكن يختلفون في فروعها، بمعنى أنهم يتفقون في المشترك كمبدأ و لكن يختلفون في طريقة تطبيقه، يمكن العيش بدونها، و المساس بها يؤدي إلى صدام اقل دموية من الصدام على المشتركات السابق ذكرها.

تشمل هذه المشتركات: الثقافة، الأرض، العرق، التاريخ المشترك، اللغة، العادات والتقاليد، القانون، الأخلاق السامية (العفو، الحلم، كظم الغيظ، الكرم، الإيثار، الشجاعة، المروءة، الابتسام...).

4- المشتركات الإنسانية الداعمة: هي الأمور التي يتفق على أصولها الناس، و يختلفون في فروعها، ليست حتمية و لكنها تحسن من مستوى الحياة، و تسعد الإنسان، لها القدرة على تجميع عدد

هائل من الشعوب، غالبا لا تسبب صدمات و حروب، و إنما توتر بين شعبيين، تشمل هذه المشتركات: الرياضة، الفنون، السياحة.

2.3 سبل تنمية المشترك الإنساني:

يرى الدكتور حسن إبراهيم احمد من خلال كتابه صدام المصالح و حوار الحضارات، و وجود قنوات أثبتت دورها الفاعل في تفاعل الشعوب و حوار الحضارات.

- 1- الهجرة: حيث لها دور فاعل في تنمية و إخصاب العلاقات بين الشعوب من خلال زيادة معرفتها ببعضها، و بالتالي اكتشاف ما يمكن تطويره ليصبح مشتركاً، كما أن لها بعض السلبيات في إبقاء مناخات الصدام الناتج عن الاحتكاك، و بالتالي الإخلال بالخصوصية المجتمعية التي تحتاج إلى وقت طويل لتزول أو تتحلل.
- 2- التنظيمات المشتركة: أو ما يسمى بالتكتلات، و هي تجمعات تعنى بشؤون الأوطان التي تواجه قضايا و مشكلات عامة، تتجاوز الدول المفردة، هذه التجمعات تنسق جهود المتخصصين أو المهتمين بشأن ما، و قد أثبتت نجاعتها في التعرف على المشترك والمختلف بين الدول و الشعوب، من خلال الحوار بينهم مهما اختلفت رؤاهم الثقافية .
- 3- العلم و التكنولوجيا: كان للعلم دور بارز في الحوار و التواصل بين الشعوب، حيث أن المخترعات البشرية الهامة تم تعميمها بين الشعوب و الحضارات، فوسائل النقل أصبحت قادرة و خلال فترة وجيزة أن تنقل الناس و البضائع عبر القارات المتباعدة، و بالتالي ساهمت في التعرف و التلاقي و تبادل الأفكار بين الناس. إضافة إلى الهاتف، الانترنت، التلفزيون و غيرها من المخترعات التي اثبت دورها البارز في التواصل بين الناس في كل أنحاء العالم.
- 4- تعميم نظم الحياة: لم تكن الاكتشافات العلمية و تطبيقاتها مهما كانت بسيطة هي التي تنتقل فقط، بل كانت العادات و الطبايع تنتقل، و هذا ما يسمى بالحركة الشعبية، حيث أن كل مجتمع مهما كان مختلف العادات و الطبايع عن غيره يطمح أن يعمم وجهة نظره.
- 5- الرياضة و حوار الحضارات: إن في تعميم العدد الكبير من الرياضات لدى كل الشعوب في وقت واحد، دليلاً على ما بين هذه الحضارات من تواصل و تفاعل. حيث أن الدورات الرياضية القارية أو العالمية هي ميدان هام لحوار الحضارات، لوجود لقاءات كثيرة و احتكاكات بين عناصر من شعوب العالم.
- 6- الحوار و التحرر الاجتماعي: إن حصول بعض الشعوب على حريتها بطريقة ما، جعل غيرها من الشعوب لا يتوانى عن سلوك الطريق الذي سلكته تلك المتحررة، فكانت العدوى و اقتباس الأشكال النضالية نتاج التعرف على أساليب الآخرين و ممارستهم.

من جهته، يرى الدكتور راغب السرجاني أن الحوار هو من ابرز آليات التعارف، التفاهم، و التعاون لتحقيق المصلحة المشتركة، حيث انه في كل المشتركات الإنسانية ثمة مساحات للحوار فيها الأخذ و الرد، و يتحدث الكاتب هنا عن الحوار الذي يتصف بالسمات التالية:

- الحوار الهادف: و هو الحوار الحريص على أن يصل إلى غاية، يعني رغبة المتحاورين في تحقيق نتائج.
- الحوار المتواضع: يتميز بالأدب و احترام الآخرين، إذ أن التكبر و اعتقاد امتلاك الحقيقة المطلقة و تمثيل الخير المطلق لا يساهم في تشجيع الحوار، بل يؤجج الحقد والعداء.
- الحوار المحترم: لا يمكن أن ينشا حوار دون احترام عقائد، ثقافة، أعراف، عادات و تقاليد الأطراف المتحاور، و المس بخصوبياتهم ما هو إلا اعتداء على الهوية، و هو أمر كفيل بتفجير الحوار، و من ثم إشعال النزاع.

4. دور منظومة القيم الإسلامية في إرساء قواعد المشترك الإنساني

ذكرنا في السطور السابقة أن البحث في مفهوم المشترك الإنساني يتجاوز منطوق الخصومة والصدام ، و يؤدي بنا إلى البحث في المبادئ و القيم الخلقية المشتركة بين الناس، مهما اختلفت أديانهم، أجناسهم، و معتقداتهم، و ذلك من اجل بناء أسس للتعارف و التواصل بين الشعوب.

إن الإسلام و من خلال منظومة قيمه العليا وحد القبائل و الشعوب، و سوى و آخى بينهم، و جعل كل سلبيات العنصرية ايجابيات تدعو إلى التساوي، و التآخي، و التضامن، فكل البشر من نفس واحدة، و تباينهم شعوبا و قبائل سبب و مدعاة للتعارف و التفاعل والتكامل. (اسامة ابو العباس، 2012)

ويؤكد محمد دراز عناية القرآن العظيم بالمشتركات الأخلاقية للإنسانية، فيقول: "وفي القرآن أكثر من ألف موضع يدعو فيها إلى الفضيلة لما فيها من طهر و سمو، وينهى فيها عن الرذيلة لما فيها من فحش و سقوط، بغض النظر عن كل اعتبار آخر غير الاعتبار الأخلاقي." (محمد دراز، 2009)

و قد ذكر الدكتور السرجاني ثلاثة قيم يمكن في نظره أن تمثل قاعدة ينطلق منها التعاون الإنساني، كونها موجودة في جميع الثقافات البشرية بما فيها الأديان السماوية، والفلسفات القديمة، و حتى ثقافات الشعوب التي عاشت في عزلة حضارية و هي: الصدق، الأمانة، العدل. هذه القيم تمثل الحد الأدنى الذي ينبغي أن يتوفر في البشر جميعا، لكي يتحقق الحد الأدنى من الحياة، التي يمكن أن تسمى "الإنسانية" (خالد الصمدي، 2008)، و قد جاءت هذه القيم في مقدمة المنظومة الإسلامية، فكانت صريحة في آيات القرآن الكريم، و أكد عليها رسول الله عليه الصلاة و السلام، في كثير من أحاديثه.

1-الصدق: للصدق مكانة عظيمة في الإسلام، وقد أمر الله به المسلمين في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" [سورة التوبة: الآية 119]، ووعدهم بأجل المثوبة عليه فقال تعالى: "لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ" [سورة الأحزاب: الآية 24]، وبيّن لهم أن عاقبته في الدنيا خير فقال تعالى: "فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ" [سورة محمد: الآية 21]، ونوه بأثره في الآخرة فقال تعالى: "هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ" [سورة المائدة: الآية 119]، و منزلة الصادقين في الإسلام هي المنزلة الثانية في التعظيم بعد منزلة الأنبياء مباشرة لقوله تعالى في سورة النساء "وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا" [سورة النساء: الآية 69]

والصدق هو الخلق الذي اتصف به الرسول صلى الله عليه وسلم قبل بعثته حتى لقب بالصادق الأمين، و قد أوصى به في قوله صلى الله عليه وسلم "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا" [حديث رقم 69 صحيح البخاري]

2-الأمانة: لها أهمية كبيرة في الإسلام تبينها الآيات التي أشارت إلى وجوب العمل بها في القرآن الكريم، فقد قال تعالى في سورة النساء: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ، إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا" [سورة النساء: الآية 58]. و قوله تعالى في سورة المؤمنون: "وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ

وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ* أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرْتُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" [سورة المؤمنون الآية: 8-11]

والأمانة صفة مميزة لأصحاب الرسالات ، فقد كان كل منهم يقول لقومه : "إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ آمِينٌ" . [سورة الشعراء : 107، 125، 162، 143، 178]

ولقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الأمانة دليلا على إيمان المرء وحسن
خلقه، و بين الارتباط الوثيق بين الأمانة والإيمان في الحديث الصحيح الذي روي عنه: "لا
إيمانَ لمن لا أمانةَ لَهُ، ولا صلاةَ لمن لا طهورَ لَهُ، ولا دينَ لمن لا صلاةَ لَهُ، إِنَّمَا مَوْضِعُ
الصَّلَاةِ مِنَ الدِّينِ كَمَوْضِعِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ"

ولقد كانت من آخر وصايا النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع الوصية
بالأمانة فقال : " وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ أُتِمَّتْهُ عَلَيْهِ - وَبَسَطَ يَدَيْهِ فَقَالَ - أَلَا
هَلْ بَلَغْتُ أَلَا هَلْ بَلَغْتُ أَلَا هَلْ بَلَغْتُ - ثُمَّ قَالَ - لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ فَإِنَّهُ رَبٌّ مُبَلِّغٌ أَسْعَدُ
مَنْ سَامِعٍ"

3-العدل: إن العدل من القيم الإنسانية الأساسية التي جاء بها الإسلام، يعد ركيزة الحكم
بين الناس، ومنطلق النظم و التشريعات الحاكمة في المجتمعات، فبدونه تحل الفوضى
ويسود الظلم بين الناس.

و قد جاء القران الكريم بأمر صريح و لهجة قوية على إلزامية تطبيقه لقوله تعالى:
"إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظُمُ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" [سورة النحل: الآية 90]. ويقول تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا" [سورة النساء: الآية 58]. ويقول تعالى " فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا
أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ" [سورة
الشورى: الآية 15]. ويقول تعالى : " يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ" [سورة ص: الآية 26].

ومن نصوص السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا حكمتم فاعدلوا» رواه
الطبراني في الأوسط.وقد قال ربي بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد الفرس لما سأله ما

جاء بكم؟- "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام." ومن جهة أخرى، فإن البحث في المشترك الإنساني يقع في دائرة خصائص رسالة الإسلام لكونها رسالة عالمية، قال تعالى: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" [سورة الأنبياء: الآية 107] ، تستوعب العالمين، ومنفتحة على الآخرين المختلفين، تتسع لجميع الأفكار، والهويات، والألوان، والأعراق واللغات، قال الله تعالى في كتابه الكريم: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" [سورة الحجرات: الآية 13]،

ففي ضوء منظومة القيم الإسلامية التي يقرها القرآن الكريم و السنة، نجد قيمة التعارف لا النكران و العداوة، و قيمة التآخي لا التقاتل، و قيم الود و التسامح و البر لا العدوان و البغي و القهر، و غيرها من القيم التي من شأنها تحقيق إحدى الغايات الكبرى من خلق الناس مختلفين و هي غاية "التعارف" ، و سنحاول من خلال بحثنا هذا سنحاول تسليط الضوء على بعض القيم الإسلامية التي لها دور في إرساء قواعد و أسس المشترك الإنساني:

-التسامح: إن التسامح فضيلة من الفضائل السامية، و قيمة من القيم الإسلامية المستمدة أساسا من القرآن الكريم، فهو نابع من السماحة بكل ما تعنيه الكلمة من حرية و مساواة و من غير تفوق جنسي أو تمييز عنصري. فلم يمنع المسلمين من البر بغير المسلمين ما داموا في سلم مع المسلمين، قال تبارك و تعالى: "لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" [سورة الممتحنة: الآية 8-9].

يمثل ثمرة للتعايش و لا يمكن أن يتحقق إلا بعد عيش مشترك لجماعة من الناس، تحمل أفكارا و تصورات متباينة، و خير مثال على ذلك التسامح الديني ، حيث ضمن الإسلام لأهل الذمة حرية المعتقد ، لقوله تعالى " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ" [سورة

البقرة: الآية 256] ، و قوله تعالى " لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ " [سورة الكافرون: 6] ، و قد كان النبي صلى الله عليه وسلم قدوة للمسلمين في التسامح، ويظهر ذلك جليا عندما فتح مكة، حيث تركت للمسيحيين و اليهود كامل الحرية في اختياراتهم الدينية، و حفظت أماكن عبادتهم و فرضت احترام رموزهم المقدسة، كما نهى الله سبحانه وتعالى عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، قال تعالى: " وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " [سورة العنكبوت: الآية 46].

-التآخي: إن مفهوم التآخي مرتبط بتعزيز قيم التعايش السلمي بين الناس في المجتمعات البشرية، بغض النظر عن الدين أو الجنس أو الخلفيات العرقية المتعددة، و نجد في منظومة القيم الإسلامية قيمة "التآخي و المودة" فالإنسان أخو الإنسان ، ذكرا أو أنثى، أسودا أو أبيضاً، مؤمن أو غير مؤمن، هم جميعاً "إنسان" يجمعهم ويوحد بينهم انتماء وحدة الكل الإنساني، أي كانت هوية هذا الإنسان العرقية أو الثقافية أو الحضارية، فالإنسان والإنسانية في هذه المنظومة، كائن و كيان واحد، خلقوا إخوة سواسية في الأسرة الإنسانية الكبرى (اسامة ابو العباس، 2012) ، قال تعالى " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " [سورة النساء: الآية 1] ، و قوله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع " يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنِّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى ."

والتآخي يعزز الروابط الإنسانية ويعمل على نبذ ثقافة العنف والكرهية، قال صلى الله عليه وسلم: " لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عبادَ اللَّهِ إخواناً ولا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثٍ " فضلا عن كونه دلالة على سمو الإنسان وسعيه للحوار والتلاقي مع إخوانه من البشر، وهو ما يشكل علامة على التحضر والرفي.

-الاحترام المتبادل: يمثل الاحترام قيمة إنسانية رفيعة، و مقصد من مقاصد منظومة القيم الإسلامية في تحقيق التعارف البناء و المشاركة الفاعلة بين البشر جميعاً، و القرآن

الكريم يدعو إلى الحفاظ على الحد الأدنى من الاحترام وتحريم وتجريم الاعتداء الحسي أو المعنوي على الآخر في قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" [سورة الحجرات الآية: 11].

-اجتناب الظن و عدم التجسس: يقول الله تعالى" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ" [سورة الحجرات الآية: 12]، جاءت في هذه الآية قيمتين مهمتين تؤديان إلى تحقيق التعارف و التعايش بين الشعوب أولهما اجتناب الظن ، حيث يرى الدكتور السرجاني أن العلاقة القائمة على الظنون بين شعب و شعب ، تنتهي إلى الصدام و الدمار، و ليس معنى ذلك عدم اخذ الحذر و تأمين البلاد و العباد، و لكن الأصل في الأمور فرض حسن النوايا ، فالشعب الذي يتعامل بطيبة و حسن خلق مع الشعوب الأخرى، سيدخل حتما في دائرة التعارف و التعايش . (راغب السرجاني، 2011)

أما القيمة الثانية فهي عدم التجسس لقوله تعالى " وَلَا تَجَسَّسُوا " و لا يقصد به الجوسسة في زمن الحرب كونها مهمة لمعرفة قدرات العدو و خططه، و إنما التجسس في حالة العلاقات السلمية الطيبة، فهي اختراق لخصوصيات الطرف الأخر، عن طريق الكذب و التدليس و التزوير، الأمر الذي يتنافى مع علاقات التعارف السوية .

و مازالت القيم الإسلامية عديدة كالإحسان ، و الوفاء، و المحبة و الوثام والبر و حسن المعاشرة. و تحقيق المساواة قولاً و فعلاً و نصرة المظلوم، و التعاون بالبر و القسط ، و الحرية ، و احترام كرامة الإنسان و صيانتها ، و الصلح و السلام ، و نبذ الاستعباد و التمييز العنصري، و غيرها من القيم التي شأنها حفظ النفس الإنسانية، و تأمين حاجاتها من القيم المشتركة التي تسهم في رفحها و سموها، والتي تنعى في سياق الاحتكاك العلمي،

والثقافي، والاجتماعي بين الأمم، و تؤدي إلى درجة من التعايش الجميل، الذي يسعد فيه كل إنسان مهما كان عرقه أو جنسه أو عقيدته.

1.4 نماذج التعايش السلمي في الإسلام:

إن الحديث عن التعايش السلمي يدفع دائما إلى استحضار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي أعطى أسس قيم التعايش بين المجتمعات، و المبنية على أساس المشاركة والتفاعل الإيجابي مع المجتمع المسلم وغير المسلم.

و لقد ترك لنا رسولنا الكريم أربعة نماذج للتعايش مع الأخر داخل الدولة الإسلامية وخارجها (علي جمعة، 2013)

-نموذج مكة المكرمة (مقام الصبر والتعايش): قبل البعثة كان رسول الله عليه الصلاة والسلام متعايشا مع قومه، متألفا معهم ، يقوم بدور اجتماعي فعال و يساهم معهم ويتعاون في أمور البر والخير، فقد تحالف مع قبائل من قريش لنصرة المظلوم، كما قام بتربية علي ابن أبي طالب للتخفيف عن عمه.

بعد البعثة، كانت مكة تحت سيطرة المشركين في قريش، الذين يكرهون الإسلام والمسلمين ويوقعونهم في الأذى، رغم ذلك فقد كان الصبر و التعايش من أسس صفاته، فقد تعايش أصحابه ممن امنوا بدعوته، فلم يتركوا أشغالهم و لم يحبسوا أنفسهم عن الناس و عن التجارة و السفر، و لم يقصروا البيع و الشراء على أنفسهم، و على العكس من ذلك فان المشركين (قريش) هم الذين رفضوا التعايش مع المؤمنين ففرضوا عليهم حصارا في شعب أبي طالب.

-نموذج بقاء المسلمين في الحبشة (مقام الوفاء و المشاركة): نموذج الحبشة هو النموذج أو الحالة التي يكون فيها المسلمون أقلية تعيش في مناخ الأمن و العدل و الحرية في ظل دولة غير إسلامية.

-نموذج المدينة في عهدها الأول(مقام الانفتاح و التعاون):كانت المدينة متعددة الطواف، منهم اليهود و المشركون و الوثنيون و المنافقون ما جعل الرسول عليه الصلاة و السلام لا يتردد أن يسلك سبيل التعارف و الاتفاق من اجل تحقيق المصلحة المشتركة للجميع، و هي تحقيق المواطنة و التعايش مع الإقرار بهذا التنوع العقدي و الثقافي و العرقي، فكان لا مفر منه أن يضع "دستور الدولة بالمدينة" حيث صارت المدينة دولة وفاقية رئيسها الرسول عليه الصلاة و السلام ، وصارت المرجعية العليا للشريعة الإسلامية، و جميع الحقوق الإنسانية مكفولة، كحق حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر، و المساواة والعدل..

-نموذج المدينة في عهدها الأخير(مقام العدل و الوعي قبل السعي): نذكر منها تعايش اليهود بسلام و أمان في المجتمع المسلم، فكانوا يبيعون و يتاجرون ، يسكنون المدينة و يعيشون مع أهلها، و كذا صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المنافقين رغم ما أتوا به من دسائس و خيانات، إضافة إلى عقد معاهدات كثيرة مع اليهود و النصرارى خارج حدود دولة المدينة، و إقامة علاقات سلمية مع الحبشة استمرت قرونا دون معاهدة مكتوبة، و استقبال الوفود بعد صلح الحديبية. و نذكر أيضا إرسال رسول الله عليه الصلاة و السلام إلى الملوك و الزعماء رسائل اتسمت بالاحترام و التقدير، مخاطبا كل زعيم بوصفه بصرف النظر عن مخالفتهم له، و غيرها من المعاملات التي يمكن أن يبني عليها الكثير في نماذج التعايش و التعامل مع الآخر.

4.الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة تم التوصل إلى النتائج الآتية:

- إن البحث عن المشترك مدخل إلى السلام الإنساني ونشر لقيم الصفح والتسامح بدلا من الدموية والعنف، لاسيما في ظل ما يشهده العالم من نزاعات و صدامات و حروب.



• إن حقيقة مفهوم المشترك الإنساني تمثل حاجة إنسانية حقيقية من القيم الخلقية والمبادئ الحضارية المشتركة في تحقيق العيش السلمي والأمن الحضاري الذي تنشده البشرية جمعاء على اختلاف أطرافها وأعراقها.

• جاءت رسالة الإسلام كونية الخطاب عالمية الدعوة، لا تنفي الآخر و تقر أن الاختلاف بين الناس في أشكالهم وألوانهم ومعتقداتهم هو سنة إلهية وحكمة ربانية , لقوله تعالى " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ " [سورة هود: الآية 118] ، في دعوة صريحة إلى التعارف بينهم في قوله تعالى " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [سورة الحجرات: آية 13]

• إن منظومة القيم الإسلامية هي بمثابة دستور أخلاقي متكامل يصلح للتطبيق في كل زمان ومكان، تعتليه قواعد و أسس واضحة لترسيخ التعارف بين الناس، و الوصول إلى درجة التعايش الجميل، الذي يسعد فيه كل إنسان بصرف النظر عن عرقه أو جنسه أو عقيدته، شعارها التسامح و الرحمة والعدل والمساواة والسلم و السلام والتعايش غيرها من القيم الساعية لرتقي وتقدم الشعوب والأمم.

• تعد السيرة النبوية أروع و أسمى و أرقى مثال عن التعايش مع الآخرين، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القدوة الأولى في حسن التعامل مع جميع الأطياف و المذاهب المختلفة في إطار من المواطنة والعدل و المساواة والدعوة إلى التعارف والتعاون ، و كان عليه الصلاة و السلام مثالا في التسامح والرحمة والاحترام والعفو و الحرية بعدم الإكراه في الدين والعدل في الحكم بين الناس، البر وحسن المعاشرة التي تحث على تجنب إيذاء الغير .

و عليه، فانه ينبغي العمل على تجسيد القيم الإسلامية بمنظومتها المتكاملة في التعامل الإنساني لتصل علاقة التعارف و التوصل إلى أفضل نتائجها.

5. قائمة المراجع:

- 1) ابن منظور. (بلا تاريخ). لسان العرب (المجلد الجزء الخامس). دار المعارف.
- 2) احمد بن محمد بن علي القيومي. (2010). لمصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: المكتبة العلمية.
- 3) احمد فتحي سليمان. (2012). منظومة القيم الإسلامية وأثرها في تحقيق التعايش في المجتمع المعاصر.
- 4) الأشقر عمر سليمان. (1982). خصائص الشريعة الإسلامية. الكويت: مكتبة الفلاح..
- 5) جابر قميحة. (1987). مدخل في القيم الإسلامية. بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع.
- 6) حسن إبراهيم احمد. (2004). دار علاء الدين للطباعة والنشر. سوريا: أسك زاد.
- 7) خالد الصمدي. (2008). القيم الإسلامية في المنظومة التربوية. ايسيسكو: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة.
- 8) راغب السرجاني. (2011). المشترك الإنساني نظرة جديدة للتقارب بين الشعوب. القاهرة: مؤسسة اقرا.
- 9) رجاء بنت سيد علي. (2018). القيم الإسلامية و سبل تعزيزها قيمة إتقان العمل نموذجاً. إدارة العلوم و النشر العلمي، 33(7).
- 10) سيد احمد طهطاوي . (1996). القيم التربوية في القصص القرآنية. دار الفكر العربي.

- 11) شهبان اسامة ابو العباس. (2012). منظومة القيم الإسلامية و أثرها في تأكيد التعايش في المجتمع المعاصر. مصر.
- 12) صالح بن عبد الله و آخرون. (1998). نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة للنشر و التوزيع. جدة.
- 13) عبد الله بوصوف. (2017). الإسلام والمشارك الإنساني. المغرب: منشورات ملتقى الطرق.
- 14) علي جمعة. (2013). النماذج الأربعة من هدي النبي صلي الله عليه وسلم في التعايش مع الآخر. مصر: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية.
- 15) فتحي التريكي و اخرون. (2012). جمالية العيش المشترك. تونس: دار الوسيطى للنشر.
- 16) الفيروزي ابادي. (1978). القاموس المحيط (المجلد الطبعة 2). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- 17) قاسم محمد خزعلي. (2011). القيم التربوية و الحديث النبوي الشريف. مجلة جامعة القدس للأبحاث و الدراسات، 1(25).
- 18) قطب سيد. (1978). خصائص التصور الإسلامي و مقوماته. بيروت: دار الشروق.
- 19) الكتاني محمد. (2011). منظومة القيم المرجعية في الإسلام. الرباط: الرابطة المحمدية للعلماء مركز الأبحاث و القيم المحمدية.
- 20) ماجد زكي الجلاد. (2013). تعلم القيم و تعلمها. عمان: دار المسيرة للطباعة والنشر.
- 21) محمد دراز. (2009). دراسات إسلامية في العلاقات الدولية والاجتماعية. الكويت: دار القلم.

(22) مصطفى علي خليل. (1988). لقيم الإسلامية و التربية. المدينة المنورة،: مكتبة إبراهيم حلي.

(23) نادية محمد شريف العمري. (1987). القياس في التشريع الإسلامي. القاهرة: دار هجر.

